Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كوصف المجلس والمدام، فلكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به، وطريق لا يشاركه الآخر فيه.

وليس ما رسمته لك في هذا الباب بمقصور على الشعر دون الكتابة، ولا بمختص بالنظم دون النثر؛ بل يجب أن يكون كتابك في الفتح أو الوعيد، خلاف كتابك في التشوق والتهنئة واقتضاء المواصلة، وخطابك إذا حذرت وزجرت أفخم منه إذا وعدت ومنيت. فاما الهجو فأبلغه ما جرى مجرى الهزل والتهاتف[1]، وما قربت معانيه وسهل حفظه، وأسرع علوقه بالقلب ولصوقه بالنفس، فأما القذف والإفحاش فسباب محض، وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن وتصحيح النظم. وإذا أردت أن تعرف موقع اللفظ الرشيق من القلب، وعظم غنائه في تحسين الشعر، فتصفح شعر جرير وذي الرمة في القدماء، والبحتري في المتأخرين، وتتبع نسبيب متيمي العرب ومتغزلي أهل الحجاز، كمعمر وكثير وجميل ونصيب وأحزابهم. وقستهم بمن هو أجود منهم مشعراً، وأفصح لفظاً وسبكاً ثم انظر واحكم وأنصف)[2].

وأبو حيان في رسالته إلى ابن العميد ينزع هذا المنزع. كتب إليه:

(أقول وخير القول ما عقد بالصواب، وخير الصواب ما تضمن الصدق، وخير الصدق ما جلب النفع، وخير النفع مع تعلق بالمزيد، وخير المزيد ما بدا عن الشكر، وخير الشكر ما بدا عن إخلاص، وخير الإخلاص ما نشأ عن اتفاق، وخير الاتفاق ما صدر عن توفيق.

لما رأيت شبابي هرماً بالفقر، وفقري غنى بالقناعة، وقناعتي عجزاً عن أهل التحصيل، عدلت إلى الزمان أطلب إليه مكاني فيه، وموضعي منه، فرأيت طرفة نابياً، وعنانه عن رضاي منثنياً، وجنانه في مرادي خشناً، وارتفاقي في أسبابه سبباً، والشامت على الحدثان متمادياً. طمعت في السكوت تجلداً، وانتحلت القناعة رياضة، وتألفت شارد حرصي متوقفاً وطويت منشور آمالي

---

(١) هذا هو «أيضاً» مذهب الجاحظ في الهجاء كما في رسالة التربيع والتدوير

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ٢٦ وما بعدها